

لورينزو فيراسيني *

الاستعمار الاستيطاني و "المجمّع المناهض لمعاداة السامية" في ألمانيا**

ضمنياً، فإنه يجب أن يُستعاد ويُسلط الضوء عليه لتفسير كيفية عمل ما يعرف هنا بـ 'المجمّع المناهض لمعاداة السامية'؛ حيث تجتمع المؤسّسات والإعلام والقانون لفرض حظر على النقاشات المتعلقة بتاريخ إسرائيل وسياساتها تجاه الفلسطينيين.

مقدمة

الاستعمار الاستيطاني هو شكل معيّن من أشكال الهيمنة التي تتطلّب تدمير عوالم الحياة الأصلية لكي تُؤسّس العوالم الجديدة أو توسيع عوالم [أوروبية عبر غزو واستيطان أراضي الغير]. نادراً ما يذكر المصطلح في الخطاب الألماني العام، بدون أن يتم تقبيح أولئك الذين يستخدمونه، خاصّة إن استخدموه في سياق نقد السياسات الإسرائيلية تجاه السكّان الفلسطينيين في الأراضي المحتلة. ولهذا التجاهل

تجادل هذه المقالة بأنّ الخلافات حول معاداة السامية في الخطاب العامّ الألمانيّ الحاليّ، ودعم إسرائيل غير المشروط والمؤسّساتي، حتّى في ظلّ ما يحتمل أن يكون إبادة جماعيّة، يرتبطان، ويجري تمكينهما، من خلال اعتناق متزمّت لروح الاستعمار الاستيطانيّ. في هذا السياق، يشكّل انعدام الرغبة في مواجهة تاريخ من العنف الاستعماريّ مجرد عامل واحد من بين عوامل عدة محدّدة. ومع ذلك، وبالرغم من أنّ سؤال الاستعمار الاستيطانيّ قد لا يكون معترفاً به

* مؤرخ وأستاذ في معهد البحوث الاجتماعية بجامعة سوينبرن للتكنولوجيا. وهو رئيس تحرير مجلة Settler Colonial Studies وكان شخصية رئيسية في تطوير مجال الاستعمار الاستيطاني.
- ترجم المقال الباحث أنس إبراهيم.

** صدرت المقالة مؤخراً باللغة الإنجليزية: Lorenzo Veracini (02 Sep 2024): Germany's anti-antisemitic complex and the question of settler colonialism, Settler Colonial Studies, DOI:10.1080/2201473X.2024.2397261

وفي أيامنا هذه، وحتى إن لم تكن الدولة الألمانية تروج بشكل مباشر للاستيطان، فإنها تدعم آخرين يمارسونه. وينطوي هذا الدعم على إسكات النقد أو المعارضة، وتستمر الدولة، والحكومة، ومعظم المؤسسات، والعديد من حراس الخطاب العام، في التشديد على أن الاحتجاج على الاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي هو شكّل من أشكال معاداة السامية.

مجرد التقارب معها، وقد جرت الموافقة على اقتراح برلماني بهذا الشأن عام ٢٠١٧ - إن الفكرة التي تقول إن شخصاً قد يكون "قريباً من حملة المقاطعة"، ويعاقب على افتراض وجوده في موقع كهذا، هي فكرة غريبة للغاية: فهو مصطلح يستخدم استعارة مكانية للتعبير عن احتمالية ارتكاب جريمة فكرية غير معلن عنها، لكن عواقبها حقيقية.

لأوامر الحظر هذه أهمية كبيرة في ألمانيا، حيث معظم الأكاديميين هم موظفون حكوميون، كما يؤدي التمويل الحكومي دوراً حاسماً في دعم الثقافة والفنون. إن هذه معضلة مقلقة، حتى مع التأكيد أن العديد من الأطر التشريعية والمؤسسات خارج ألمانيا قد تبنت في الأعوام الأخيرة، وبشكل مشابه، تعريف التحالف الدولي لمعاداة السامية^٤، وفي حين أن التصميم على حراسة حدود الخطاب المقبول ليست سمة تقتصر على ألمانيا وحدها، فإن هذه الورقة تركز على ألمانيا لاستكشاف كيف يمكن لتبني عدسات دراسات الاستعمار الاستيطاني أن يكون مفيداً عند تقييم الخيالات السياسية.

الرقابة، والقمع الوحشي وحتى مراقبة الفكر، كما حدث في آب من العام ٢٠٢٤، عندما قرّر قاضٍ في برلين أن عبارة "من النهر إلى البحر"، يجب أن تتطلب تفسيراً من قائلها وأنه لا يجب اعتبارها عبارة مقبولة^٥. تصف هانا تزوبيري وناهد سمور ببراعة "الاقْتِصَادُ الأخلاقيّ-العاطفيّ لألمانيا بعد التوحيد"^٦، وتشكل ملاحظتهما أساساً مقنعاً لمزيد من التبصر: حيث يشيران إلى "رغبة الدولة الألمانية في إعادة تشكيل نفسها كدولة ديمقراطية ليبرالية، وفوق كل شيء، دولة

أهميّة خاصّة، ذلك أن المستعمرين الألمان قد استوطنوا في العديد من الأماكن عبر التاريخ: البعيدة والقريبة، سواء من قبل الدولة الألمانية أو من قبل أطراف سيادية أخرى [فوضتها الدولة الألمانية]، في العصور الوسطى وعلى طول القرن التاسع عشر، في الأمريكيتين وفي أستراليا، في أفريقيا وفي شرق أوروبا. وفي أيامنا هذه، وحتى إن لم تكن الدولة الألمانية تروج بشكل مباشر للاستيطان، فإنها تدعم آخرين يمارسونه. وينطوي هذا الدعم على إسكات النقد أو المعارضة، وتستمر الدولة، والحكومة، ومعظم المؤسسات، والعديد من حراس الخطاب العام، في التشديد على أن الاحتجاج على الاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي هو شكّل من أشكال معاداة السامية. وهذه المقالة هي ردّ على هذا الإسكات وهذه الاتهامات^٧.

في مداخلة منشورة مؤخراً، يوثق المؤرخ ديرك موزيس (Dirk Moses) حالة مقلقة جداً، مستشهداً بالعديد من حوادث الحظر المفروض من قبل الدولة على الخطاب الذي يعتبر معادياً للسامية^٨. ولراسيم الإسكات في ألمانيا المعاصرة قوّة إنفاذية وقد جرى إنفاذها بالفعل. والركيزة الأساسية لهذا الجهاز القمعي هي الدعم الحزبي المتعدّد لإسرائيل بوصفها جزءاً من 'منطق الدولة' الألمانية (Staatsräson - منطق الدولة، بمعنى آخر: 'مصلحة وطنية' - وهو مذهب صاغته المستشار الألمانية السابقة أنجيلا ميركل في العام ٢٠٠٨)، وتبني الدولة الرسمي لتعريف "التحالف الدولي لإحياء ذكرى الهولوكست" (IHRA) لمعاداة السامية عام ٢٠١٧، وحظر دعم "حملة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات" (BDS)، أو حتى

تصف هانا تزوبيري وناهد سمور ببراعة «الاقتصاد الأخلاقي-العاطفي لألمانيا بعد التوحيد»، وتشكّل ملاحظاتها أساساً مقنعاً لمزيد من التبصر: حيث يشيران إلى «رغبة الدولة الألمانية في إعادة تشكيل نفسها كدولة ديمقراطية ليبرالية، وفوق كل شيء، دولة مناهضة لمعاداة السامية»، ويلاحظان أن لـ «إعادة التشكيل هذه عواقب عنيفة وغير ليبرالية»، و«تخلق حاجة إلى 'معادٍ جديد للسامية' لكي تتمكّن ألمانيا من إعادة خلق نفسها كحامية لليهود».

"الوكالة السياسيّة، وأداء الاختلاف للجماعة اليهوديّة، أمران يفوّضان حصراً لدولة إسرائيل"، بينما يُنظر إلى "الذات السياسيّة الفلسطينيّة والمطالبة بالساواة" على أنّها "إزعاجٌ يجب تجاهله أو تهديده بتجريمه".^{١٢} أي إنّ الفلسطينيين، وبمجرّد أن يكونوا أنفسهم، هم عقبة في الطريق، وقد اعتادوا على ذلك.

لكنّ هذا القمع، وكما يوضّح القسم الأوّل من المقالة، يأتي بنتائج عكسيّة، خاصّة مع توظيف الرموز المعادية للسامية بشكل واضح لدعمه. ومع شيطنة كلّ استقصاء متعلّق بـ«الاقتصاد الأخلاقي-العاطفي» للبلاد وما وراءه، يُستبدل الإنكار بالمنع الكامل، الأمر الذي لا يبدو وكأنّه يحقّق اختراقاً (المزيد حول هذه النقطة في خاتمة المقالة). ومع ذلك، يجب تفسير هذا الاقتصاد واستكشاف ديناميات الهويّة الكامنة وراءه. ومع وضع هذه المهمّة في الاعتبار، تقترح هذه الورقة أنّ دراسات الاستعمار الاستيطانيّ، وهي أبعد ما تكون عن معاداة السامية، تقدّم أداة استدلالية قد تشكّل إضافة مثمرة لمجموعة من الأدوات المفاهيميّة. في مواجهة افتراضات معاداة السامية حول التحليلات التي تتناول الاستعمار الاستيطانيّ في فلسطين، يناقش القسم الأوّل اعتماد تعريف "التحالف الدوليّ" (IHRA) الضمنيّ، ولكن الجوهريّ، على منطقيّ معادٍ للسامية. أمّا القسم الثاني فيستعرض فشلاً أو انعدام رغبة في نقد الاستعمار وتبعاته. بينما يركّز القسم الثالث على المخيلة التي تمكن الهويّة الجماعية الألمانية من التماهي مع المستعمرين المستوطنين الصهاينة. إنّ المعارضة الحقيقيّة لمعاداة السامية تتطلّب الانفتاح لا المنع.

مناهضة لمعاداة السامية"، ويلاحظان أنّ لـ "إعادة التشكيل هذه عواقب عنيفة وغير ليبرالية"، و"تخلق حاجة إلى 'معادٍ جديد للسامية' لكي تتمكّن ألمانيا من إعادة خلق نفسها كحامية لليهود".^٧ كما يريان أنّ 'اليهودي' في هذا السياق هو "لغافة فارغة تمكّن تحوّلًا أخلاقيًا ألمانيًا من معاداة السامية إلى مناهضة معاداة السامية"، وهو خيال يتضمّن "ولادة جماعة ألمانيّة 'محسنة' أخلاقيًا، تتألف من مواطنين 'تعلّموا درسه'".^٨ وهكذا، يستنتجان أنّ "ألمانيا وفي اعترافها باليهوديّة، تعترف بنفسها".^٩

لا يبدو ذلك ضارًا، لكن ثمة جانب آخر لهذه العمليّة. ذلك أنّ اعترافًا كهذا ينبني بالضرورة على قمعٍ دائمٍ: "إنّ دولة تعرّف نفسها من خلال التحوّل من معاداة السامية إلى مناهضة معاداة السامية تحتاج إلى شخص يمثّل كلّ ما لم تعد ألمانيا عليه اليوم: هذا الشخص يجب أن يمثّل التهديد غير الليبرالي وغير الديمقراطيّ والمعادي للسامية، الشخص الذي يمكن للمواطن الصالح النظر إليه وتعريف نفسه على أنّه الذي لم يعد هذا الشخص".^{١٠}

لهذا البناء الهويّاتيّ عواقب قمعيّة مهمّة، خاصّة عندما يتعلّق الأمر بمناقشة قضية فلسطين، حيث يمكن لأولئك الذين يسعون لدخول المعترك العامّ مناقشة قضية فلسطين فقط وفقًا لـ 'الشروط الألمانيّة'، ويجري تصنيفهم كشخصيات بحاجة إلى مراقبة وعقوبات استباقية.^{١١} إنّ رفض الإصغاء لأيّ شيء لا يُقال وفقًا لشروط الشخص نفسه أمر مقلق للغاية، وهو سمة نرجسيّة عادة ما تكون عرّضًا لحالة نفسيّة كامنة. والنتائج؟ الإنكار والتسوية:

أولاً وقبل كل شيء، تعريف «التحالف الدولي» معادٍ للسامية لأنه يدمج 'اليهود' جميعاً مع 'إسرائيل'، ومن ثمّ إسرائيل نفسها مع السياسات التي تتبناها حكومتها. يُنتج هذا الدمج إسكاتها مقلّماً؛ فهو يعمل على إسكات العديد من الأصوات اليهودية، بالإضافة إلى، بالطبع، الأصوات الفلسطينية.

مناهضة معاداة السامية المُعادية للسامية

في ألمانيا، كما هو الحال في الولايات المتحدة حيث جرى ترسيخه في التشريعات، وكذلك في أماكن أخرى، يرسم تعريف "التحالف الدولي" (IHRA) لمعاداة السامية سياسةً، وهو مصمّم ليفعل ذلك. ثمة العديد من الأسباب للتشكيك في حكمة التبرني الرسمي لتعريف معين لمعاداة السامية، وقد يكون من السذاجة أن يكون هناك تعريف ملزم قانونياً لكراهية إثنائية معينة، خاصة عندما تنتشر أنواع أخرى من الكراهية دون رادع. ومنذ أن كانت أنواع معينة من الكراهية تتفاعل بشكل لا مفرّ منه مع بنى معاداة السامية الشعورية، وتتشارك معها مناطق تداخل كبيرة، ستظلّ الجهود لعزل وقمع كراهية بعينها غير قابلة للتنفيذ. كما أن تقييد النقاش من خلال تعريفات محدّدة وملزمة قانونياً لماهيّة الخطاب المقبول والقمع المرتبط به... هو تقييد بحدّ ذاته.^{١٢} لكنّ السبب الرئيس الذي يجعل من تعريف "التحالف الدولي" موضع تساؤل، هو أنّه إشكاليّ في حدّ ذاته من حيث كونه معادياً للسامية.

أولاً وقبل كل شيء، تعريف "التحالف الدولي" معادٍ للسامية لأنّه يدمج 'اليهود' جميعاً مع 'إسرائيل'، ومن ثمّ إسرائيل نفسها مع السياسات التي تتبناها حكومتها. يُنتج هذا الدمج إسكاتها مقلّماً؛ فهو يعمل على إسكات العديد من الأصوات اليهودية، بالإضافة إلى، بالطبع، الأصوات الفلسطينية. في الواقع، يُصمّت هذا الدمج أغلبية كبيرة من الأصوات اليهودية من خلال عملية مجازية متكرّرة. إنّ الشتات اليهودي أكبر بكثير من يهود إسرائيل، وهناك عدد كبير من السكّان

الذين يخضعون حالياً للسيادة الإسرائيلية ولا يمكنهم انتخاب حكومتهم، بينما تخضع الإدارة الإسرائيلية الحالية لمطالب أقلية متطرّفة من المستوطنين المقيمين في الأراضي الفلسطينية المحتلة - أقلية داخل أقلية داخل أقلية. وبشكل خاصّ، وفي ما يتعلّق بإنفاذ تعريف "التحالف الدولي" لمعاداة السامية من قبل السلطات الألمانية حالياً، فإنّ من المزعج رؤية موظّفين وإداريين يخبرون الجميع، بما في ذلك اليهود (مثل الفيلسوفة المعروفة نانسي فريزر)، ما الخطاب المقبول أو غير المقبول.^{١٤} إنّ دمج تنوع حيويّ وافتراس وجود وكالة يهودية واحدة وموحّدة كان دائماً من ركائز معاداة السامية تاريخياً (مثل خطاب معاداة السامية الذي كان سائداً في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين)، وتعريف "التحالف الدولي" والدولة الألمانية يعملان على تجسيد هذه الركيزة.^{١٥}

السبب الثاني لاعتبار "التحالف الدولي" معادياً للسامية هو افتراض المنظّمة وجود إرادة سياسية راسخة لا تتغيّر، وهي ركيزة أخرى لمعاداة السامية تاريخياً. تتّصف السياسات الإسرائيلية بالديناميكية، وهي في تغيّر مستمرّ وموضع خلاف دائم - هذا ما يحدث في دولة ديمقراطية، حتّى وإن كانت عرقية دينية وإقصائية - ومنع انتقاد السياسات الإسرائيلية الاستعمارية في الأراضي الفلسطينية المحتلة لا يمكن أن يتماشى منطقياً مع تبرني السياسة الإسرائيلية السابقة التي كانت تتظاهر بالتخلي عن المزيد من التوسّع الاستيطانيّ الاستعماريّ من خلال التظاهر بالمضيّ قدماً في عملية السلام. ومن المزعج رؤية المسؤولين الحكوميين الألمان يتناقشون في السياسات الإسرائيلية



جلسة استماع في محكمة العدل الدولية بلاهاي في القضية التي رفعتها نيكاراغوا ضد ألمانيا، في ٨ نيسان ٢٠٢٤. (أ ف ب)

غير قابلة للإصلاح (مثل القول إن رجلاً معيئاً هو رجل معتدٍ، فيجيب آخر بأن نقداً كهذا يجرمه حقه في أن يكون رجلاً، وهو بعينه ما اعتاد على تكراره المدافعون عن الأبوية). إن عزو دافع هيمنة غير قابل للإصلاح لدى اليهود هو افتراض رئيس آخر لمعاداة السامية تاريخياً، والذي يجري إعادة إنتاجه عبر تعريف "التحالف الدولي" لمعاداة السامية.

على النقيض من ذلك، أولئك الذين ينتقدون السياسات الإسرائيلية الاستعمارية الحالية والسابقة، مثل داعمي 'حل الدولة الواحدة' الديمقراطية، والذين يشددون على إمكانية تحوّل إسرائيل إلى شيء آخر، حتى إلى دولة غير استعمارية تمثل كل الخاضعين لسيادتها، ليسوا معادين للسامية. بتشديده على جوهرانية الطابع العرقي الديني الإقصائي في الدولة اليهودية، يفشل تعريف "التحالف الدولي"، ويمنع عمداً تخيّل حكم سياسي مختلف للإسرائيليين والفلسطينيين. علاوة على ذلك، يتبدى تعريف "التحالف الدولي" شكلاً عدائياً من القومية الإقصائية ويرفض قطعاً التعددية الثقافية كإمكانية سياسية - ومرة أخرى، تلك سمة

التي تعتبر مقبولة أو محظورة. ذلك يعني أنه من المحتمل، فرضاً، أن مفوضي معاداة السامية قد يغيرون بأثر رجعي أحكامهم السابقة في حال طرأ أيّ تغيير سياسي؛ فما اعتُبر 'معادياً للسامية' من قبل سيصبح سياسة دولة رسمية، وما كان شرعياً سيُصنّف بأثر رجعي 'معادياً للسامية'. هكذا تتدخل الدولة الألمانية في صراع يهودي داخلي بين تقليد عالمي ومشروع سياسي عرقي إقصائي. وفي وقت مضى، كان دعم دولة لجزء من المجتمع والشتم اليهوديين ضدّ جزء آخر سلوكاً مخيفاً، ولا يزال يثير الريبة حتى الآن.

إن المنطق التأسيسي لتعريف "التحالف الدولي" يقول إن أيّ نقد للسياسات الإسرائيلية يجب أن يعتبر معادياً للادعاء بعدم أحقية إسرائيل في الوجود. وهذه المسألة تحديداً إشكالية؛ فبينما يُقدّم التعريف كدفاع عن إسرائيل، وهو مصمم لتلك الغاية، ذلك أنه يربط بشكل مباشر بين احتلال إسرائيل للأراضي الفلسطينية وحققها الخاص في الوجود، إلا أنه يعني ضمناً أن إسرائيل لا يمكن إلا أن تكون دولة استعمارية، وأن الأعراف الاستعمارية تأسيسية لوجودها، وأن الدولة

بتشديده على جوهرانية الطابع العرقي الديني الإقصائي في الدولة 'اليهودية'،
يفشل تعريف «التحالف الدولي»، ويمنع عمداً تخيل حكم سياسي مختلف
للإسرائيليين والفلسطينيين. علاوة على ذلك، يتبنى تعريف «التحالف الدولي»
شكلاً عدائياً من القومية الإقصائية ويرفض قطعاً التعددية الثقافية كإمكانية
سياسية - ومرة أخرى، تلك سمة كلاسيكية لمعاداة السامية تاريخياً.

كانوا أصلاً فيها، والوعد بشيء مملوك أصلاً ليس
منطقيًا. وفقاً لتعريف "التحالف الدولي"، فإن احتلال
الأراضي الفلسطينية بحد ذاته قد يُعتبر فعلاً معادياً
للسامية قيد الحدوث، وذلك لكونه يحرم الفلسطينيين
من حقهم في تقرير المصير. وبالمثل، ووفقاً لتعريف
"التحالف الدولي"، فإن منح 'الشعب اليهودي' حصراً
الحق في تقرير المصير، كما ينص 'قانون الدولة
القومية' الذي شرعنته إسرائيل عام ٢٠١٨، يجب
اعتباره أيضاً معادياً للسامية. كيف يمكن لـ 'مناهضة
معاداة السامية' أن تطبق بشكل غير متساوٍ على
جماعتين عرقيتين قوميتين تستهدفهما معاداة السامية؟
وأبعد من تعريف "التحالف الدولي"، غالباً ما يُعتقد
بضرورة افتراض أن المهاجرين إلى ألمانيا -الفلسطينيين
والعرب خصوصاً- وبشكل مسبق، معادين للسامية،
كما لو أن الأمر ظاهرة اجتماعية سياسية يولد المرء
معها. تعمل الخطابات الألمانية المعاصرة حول 'معاداة
السامية المستوردة'، وهي حجة تقوم على افتراضات
معادية للإسلام وتنتج مقولات معادية للإسلام، تعمل
على استهداف الأفراد الذين دخلوا إلى الدولة ولكنهم
اعتبروا لا ينتمون إليها، على افتراض أنهم يبتعدون
عن توقعاتها وقيمها 'الحضارية'.^{١٧} وهكذا، يجري
التفكير بمعاداة السامية بوصفها ظاهرة خارجية.^{١٨}
ومثال على هذا المنطق، الدعوات الأخيرة التي طالبت
بأن يكون الإفصاح عن الدعم غير المشروط لإسرائيل
شرطاً للحصول على الجنسية الألمانية، وهو مطلب
خاص بالمهاجرين القادمين من دول معينة. في هذه
الحالات، يقود القلق من معاداة السامية بشكل مباشر
إلى معاداة الإسلام، ويشكل تشتيماً عن معاداة السامية

كلاسيكية لمعاداة السامية تاريخياً.^{١٦} إن التأكيد على أن
نقد الاستعمار الإسرائيلي يعادل إنكار حقها في الوجود،
يشبه القول، وقد قيل آنذاك وكان دعاية سياسية،
أن مقاومة النظام الفاشي يعادل إنكار حق ألمانيا في
الوجود. لكن الدولة بالطبع كانت موجودة قبل النظام
الفاشي وبعده، بينما عارض المقاومون حق ألمانيا في
الوجود كدولة فاشية. كان أعداء الفاشية أوسع خيالاً
من الفاشيين، وهذا ليس مفاجئاً.

السبب الثالث لاعتبار تعريف "التحالف الدولي"
لمعاداة السامية معادياً للسامية كان سيكون أكثر
وضوحاً لمراقبي الخطاب العام خلال القرن التاسع
عشر والعقود الأولى من القرن العشرين، أي قبل
انفصال معاداة السامية والإسلاموفوبيا عن بعضهما،
وتطورهما لتصبحا ظاهرتين اجتماعيتين سياسيتين
مختلفتين. إن تعريف "التحالف الدولي" لمعاداة السامية
معاداً للسامية لأنه ينكر حق تقرير المصير السياسي
لجماعة قومية 'سامية': أي الفلسطينيين. وبغض النظر
عن معنى 'السامية': وهي تصنيف اخترع لأغراض
عنصرية عرقية من قبل دارسي اللغويات المقارنة في
القرن التاسع عشر، وأنا أستخدمها في إطار علامات
تنصيب استنكارية، وقطعاً لا أتسامح مع استخدام
تصنيفات عرقية أو جوهرانية، لكن ما أحاول قوله
إن كل الشعوب 'السامية' جرى استهدافها خلال القرن
التاسع عشر بطرق معادية للسامية على اختلافها.
ومن المؤكد أن تعريف "التحالف الدولي" يجب أن
يُطبق على جميع من تستهدفهم كراهية معادية
للسامية. فلسطينيو اليوم هم أحفاد الشعوب 'السامية'
الأصلية في البلاد، والأرض لم تكن موعودة لهم لأنهم

المحلّية. إنّ افتراض عدم جدارة المهاجرين بالثقفة بشكل لا يمكن إصلاحه، مثلما كان ضحايا معاداة السامية تاريخياً، هي نتيجة مقلقة لتمثيلات مناهضة معاداة السامية المعاصرة. ومن المزعج حقاً أن يكون ثمة تراتبية هرمية معتمدة رسمياً للشعوب 'السامية' المختلفة على أساس توافقها المفترض مع معايير حضارية محدّدة.

كيف يمكن تفسير مفارقة مناهضة معاداة السامية؟ يقدّم إيلاد لايبودت نقداً قوياً للمناهضة معاداة السامية بالتركيز على نظريّة المعرفة. وفقاً لتفسيره، ترفض مناهضة معاداة السامية ادّعاءات معاداة السامية بمعرفة 'اليهود'، وبفعلها ذلك، فهي تستبعد أيضاً أي معرفة حول اليهود، الذين يصبحون بذلك فئة غامضة (والغموض المزعوم كان مجازاً تقليدياً يستدعى في المقولات المعادية للسامية).^{١٩} وفقاً للايبودت، أصبح 'اليهود يمثلون حدّ الفلسفة أو نهايتها'.^{٢٠} وهذا 'الحدّ' يتعلّق بالتقاليد الثقافيّة التي تتجاهل المساهمات الصادرة عن الجنوب العالمي أو التوجّهات المعرفيّة الأصلانيّة، لكنّه جوهرّي بالنسبة للفلسفة الغربيّة.

يمكن النظر إلى السياسات الألمانيّة المتمركزة حول ذاكرة الهولوكست، وهي تطوّر حديث نسبياً، في سياق هذا المأزق الفلسفيّ. تعدّ هذه السياسات سمة مميزة لألمانيا ما بعد التوحيد، وقد جرى ترسيخها خلال إدارة "تحالف الأحمر والأخضر" بين عامي ١٩٩٨-٢٠٠٥، بعد عقود من النقاشات الحادّة (والإنكار)، وقد تطوّر بشكل أكبر خلال الإدارة اللاحقة برئاسة أنجيلا ميركل.^{٢١} راقبت سوزان نيمان بذكاء وعلى مدار عقود سياسات الذاكرة الألمانيّة وتطوّرها، وإن كانت تعتقد أنّ ثمة مشكلة، فالحالة قد تكون خطيرة فعلاً.^{٢٢} في مقالها المنشورة في مجلّة "The New York Review of books"، تشرين الثاني ٢٠٢٣، كتبت في تعليقها على التدهور الواضح: "الأمر لا يتعلّق بغياب مراجعة تاريخيّة حول الهولوكست، بل الالتفاف حول الأمر الّذي أدّى اليوم في ألمانيا إلى ظهور المكارثيّة المحابية لليهود (Philosemitic McCarthyism)، والتي تهدّد بخنق الحياة الثقافيّة الغنيّة للبلاد. خلال الأعوام الثلاثة الماضية، اتخذت المراجعة التاريخيّة الألمانيّة منعطفاً أحمقاً، إذ انتقل التصميم على انتزاع جذور معاداة السامية من حالة اليقظة إلى الهستيريا؛ فكلّ طلب

لمنحة أو عمل يجري فحصه بحثاً عن إشارات العداة للسامية. وتكفي الاتّهامات بمعاداة السامية، بغضّ النظر عن مصدرها، لتشكّل أساساً لسحب الجوائز أو إلغاء عقود العمل أو المعارض والعروض الأدائيّة. وبالرغم من إظهار إحصاءات الشرطة أنّ أكثر من ٩٠٪ من جرائم الكراهية المرتبطة بمعاداة السامية يرتكبها ألمانيّون بيض يمينيّون، فإنّ المسلمين والمؤنّين كانوا الأكثر عرضة لاستهداف الحملات الإعلاميّة التي كلّفت العديد منهم وظائفهم".^{٢٣}

تقول نيمان: "إنّ التطوّرات الأخيرة في السياسات الألمانيّة تفسّر التغيّر السريع في الثقافة" (ومع ذلك، من المحتمل أن ترغب الأصوات الناقدة في الطعن في تمثيل نيمان لـ 'حياة البلاد الثقافيّة الغنيّة'). في العام ٢٠١٧، دخل "حزب البديل من أجل ألمانيا" (AFD) البرلمان، وكان صعوده مدفوعاً بـ 'حمى' المناهضة للهجرة، وأدّت الأزمة إلى هستيريا.

لكنّ صعود حزب سياسيّ فاشيّ بشكل صريح، ويتمتع بقاعدة شعبيّة واسعة، هو عرض لمرض كامن أكثر من كونه سبباً. هناك حقبة تنتهي، وأخرى جرى الإعلان عنها بالفعل (حدّد المستشار الألمانيّ أولاف شولز عام ٢٠٢٢ كـ 'نقطة تحوّل تاريخيّة').^{٢٤} البلاد تشهد نزوعاً نحو 'اللا-تصنيع' (Deindustrialising)، وربّما ثمة حاجة شديدة لإلقاء اللوم على شخص ما. وكما كان يُعتقد في ألمانيا القيصريّة أنّ اليهود يشكّلون تهديداً وجودياً، أيضاً في الجمهوريّة الفيدراليّة الليبراليّة والديمقراطيّة المعاصرة، يُعتقد أنّ هناك مزجاً خيالياً من معاداة السامية المحلّية والمستوردة يشكّل تهديداً ملحاً. قاد التصنيع إلى تحولات عنيفة وهجرة مستدامة، وغالباً ما يُفسّر تصاعد المشاعر المعادية للسامية في إطار هذه العمليّات. ولا شك أنّ التحولات العنيفة والهجرة المستدامة تنطبق على السياق الألمانيّ ما بعد ميركل - فهل يمكن لنمو معاداة السامية المدعوم من الدولة أن يكون مرتبطاً بهذه العمليّات؟

في هذا الإطار، يمكن النظر إلى مناهضة معاداة السامية بوصفها شكلاً بديلاً عن معاداة السامية، الأمر الّذي يفسّر كيفيّة انتقال اليمين المتطرّف في ألمانيا، وأماكن أخرى، بسلاسة من شيء إلى آخر.^{٢٥} في الماضي، كانت التناقضات الاجتماعيّة المرتبطة بالتصنيع السريع تجد متنفساً كريهاً في مشاعر معاداة السامية العدائيّة والدفاعيّة؛ أمّا اليوم، فإنّ التناقضات

إنني أرى تكراراً؛ فالأفكار الخيالية الحالية عن الأصول المزعومة لتكثّل يهودي- مسيحيّ عابر للقوميات في أوروبا والأطلسي (ومناهضة معاداة السامية المرتبطة به)، تتشابه وظيفياً مع علوم الماضي العنصريّة والزائفة التي تحدّثت عن أصول آريّة لمجتمع وطني وما ارتبط بها من معاداة للسامية.

سؤال الاستعمار والاستعمار الاستيطاني

المهمّة الآن هي التركيز على سبل محتملة للخروج من هذا المأزق. بعيداً عن تقديم وجهة نظر 'معادية للسامية'، يمكن أن تساعد دراسات الاستعمار الاستيطاني في كشف الطرق التي يجري عبرها تمرير معاداة السامية الحقيقية إلى الجمهور تحت ستار مناهضة معاداة السامية. بالطبع، في ألمانيا، تتمازج معاداة السامية ودعم الدولة لإسرائيل بطرق معقّدة للغاية،^{٢٠} وليست معقّدة بشكل لا يمكن حلّه فقط، بل هي نتيجة لتعدّد الأسئلة المصاحبة في الوقت نفسه. في هذا السياق، وكما سأوضّح لاحقاً، يجب اعتبار عدم الاعتراف الجماعيّ بجرائم الاستعمار، بما في ذلك جرائم الاستعمار الألمانيّ، عاملاً مساهماً. علينا أن نركّز بشكل أكبر على الـ 'الأخر' في ألمانيا وأوروبا، لا المسألة اليهودية فقط، بل كذلك الاستعمارية أيضاً، لأنّ المسألتين متشابكتان؛ ففي ألمانيا القيصريّة، كان الأفراد اليهود غالباً ما يذهبون إلى المستعمرات الخارجية ويجري إدماجهم بالكامل، لكنّ جهود المشاريع الاستعمارية واندماج العنصر اليهوديّ المختلف، كما هي العضلة حالياً، لا تزال مرتبطة ببعضها، وكما سأوضح لاحقاً، فإنّ العديد من الألمان الذين يعتبرون أنفسهم مستوطنين يهوداً يُظهرون شكلاً من أشكال الإدماج العكسيّ، ومع ذلك يبقى اندماجاً (وهو مفهوم مقلق ومتكرّر في معاداة السامية التقليدية).

ومع ذلك، غالباً ما لا يُنظر إلى الاستعمار في الخطاب العامّ الألمانيّ المعاصر بوصفه إشكاليّاً. إذ أنّ نقاش إرث الاستعمار لا يزال متأخراً نسبياً، خاصّة عند مقارنته بالسرديات التاريخية النقديّة الأقوى للاستعمار في

المرتبطة بـ 'اللا-تصنيع' تُحوّل إلى شكل مؤسّساتي من مناهضة معاداة السامية، والذي يُقدّم بوصفه ردّ فعل دفاعياً. كانت معاداة السامية توصف يوماً ما بأنها 'اشتراكية الأغباء' - بُنى مشوّهة ومنتشرة من المشاعر المستندة إلى نظريّات مؤامرة حول 'تأثير' اليهود في الوسط من توتر اجتماعي متصاعد. ومن الممكن النظر إلى مناهضة معاداة السامية المعاصرة كردّ فعل منزعج للتناقضات المتنامية.^{٢٦} هل يمكن أن تكون مناهضة معاداة السامية المعادية للإسلام نوعاً جديداً من 'اشتراكية الأغباء'؟

إنّني أرى تكراراً؛ فالأفكار الخيالية الحالية عن الأصول المزعومة لتكثّل يهودي-مسيحيّ عابر للقوميات في أوروبا والأطلسي (ومناهضة معاداة السامية المرتبطة به)، تتشابه وظيفياً مع علوم الماضي العنصريّة والزائفة التي تحدّثت عن أصول آريّة لمجتمع وطني وما ارتبط بها من معاداة للسامية.^{٢٧} لا أقول إنّ ألمانيا اليوم هي ما كانت عليه في الماضي؛ فالإشارة إلى علاقات متشابهة لا تعني القول إنّ شيئاً يشبه شيئاً آخر، بل يتعلّق الأمر بالتشابه في العلاقات. لنفكّر بالتالي: ثمة اليوم أفراد في ألمانيا يُفترض أنّهم 'غريباء' بشكل مطلق، وغير جديرين بالثقة، وليسوا ألماناً في نظر السلطات بسبب خلفيتهم الإثنية-الدينية وهويتهم.^{٢٨} حياتهم المهنية في خطر، وكثيرون منهم يمارسون الرقابة الذاتية، وبعضهم جرى إسكاتهم بالفعل،^{٢٩} وهم ضحايا شكل من أشكال معاداة السامية التي تتحدّث بشكل متناقض لغة مناهضة لمعاداة السامية؛ ومرة أخرى، كيف يمكن لهذا أن يكون معقولاً؟

توضّح لارا فريكي الأسباب التي تدفع الخطاب الألماني العام على الدوام إلى افتراض أن الاستعمار ليس سيئاً إلى هذا الحدّ، وتنشئ رابطاً بين الاعتقاد باستحالة مقارنة الهولوكست بأيّ شيء وإنكار الاستعمار.

ليس سيئاً إلى هذا الحدّ، وتنشئ رابطاً بين الاعتقاد باستحالة مقارنة الهولوكست بأيّ شيء وإنكار الاستعمار،^{٣٦} فتقول: "إن كان الشعور بالذنب يتطلّب الاعتراف، وإن كان الإصرار على فَرَادَةِ الهولوكست تُعيقُ اعترافاً كاملاً بالاستعمار الألماني، فيمكن الاستنتاج إذن أن الشعور بالذنب داخل ثقافة الذاكرة الألمانية لا يمتدُّ إلى الشعور بالذنب تجاه الاستعمار. وعليه، فإنني أبنّي مفهوم الذنب الألماني كما هو معرّب عنه في ثقافة الذاكرة داخل ثنائية: الذنب تجاه الهولوكست، وغياب الذنب تجاه الاستعمار. وبذلك لا يشكّل الاعتقاد بفرادة الهولوكست اعترافاً فحسب، بل أيضاً رفضاً للاعتراف بجرائم الاستعمار".^{٣٧}

تشكّل فكرة 'الفرادة' عنصراً حاسماً في ما يشير إليه موسى بوصفه 'التعاليم' الألمانية الحالية (وتوجّهه تُهمة 'النسبية' لأولئك الذين لا يلتزمون بهذه التعاليم - أي جريمة الربط (Relating)، سواء بمعنى السرد أو وضع الأمور في سياقها).^{٣٨} ومن جهة أخرى، ومع تحوّل العار إلى مصدرٍ شعور بالفخر، يجب وجود شاهد على هذا التحوّل - إسرائيل. وترى فريك أنه وفي سياق كهذا، فإنّ "دور إسرائيل كشاهد شرعيّ على الإصلاحات الألمانية" لا يمكن الطعن فيه.^{٣٩} يُنكّرُ الاستعمار عمومًا؛ وكذلك العلاقة الجينية بين الاستعمار والإبادة الجماعية، حتّى عند تقديم الأدلة.^{٤٠} وحتّى عند الاعتراف بخطأ ما، فلاعتذار يقدّمُ مصحوبًا بالتنبّض من المسؤولية؛ فنالت ناميبيا ما بعد الاستعمار تويضات ضئيلة، والتعويض، إن كان يمكن تسميته بذلك، هو أقرب إلى تبرّع دون شعور حقيقي بالذنب.^{٤١} وإذا طرّحت انتقادات للاستعمار، يجري إسكاتها

العالم الناطق بالإنجليزية (يُنظر إلى مصطلح 'ما بعد الاستعمار' في اللغة الألمانية بوصفه تمثيلاً لكلّ الانتقادات الموجهة للاستعمار، وغالبًا ما ينظر إليه بريية، كما ظهر في 'قضية ميمبي' عام ٢٠٢٠).^{٣١} وبالرغم من وجود دراسات الاستعمار وحيويتها، لكنّ تأثيرها على الخطاب العام لا يزال محدودًا، المشكلة التي يصفها البعض بذكاء على أنها 'فقدان للذاكرة'.^{٣٢} لا حاجة للاعتذار، ولا للمحاسبة، وتقدّم التعويضات كهديا أو تنازلات، ومع استمرار المشاعر في تشكيل كيفية إدراك الاستعمار يظلّ الاستعمار جرحًا لم يُعالج بعد.

وجّه سيباستيان كونراد دعوة واضحة لـ 'إزالة الطابع الإقليمي' (Deprovincialisation) عن التجارب الألمانية الاستعمارية. مشيرًا إلى أنّ الاستعمار الألماني "لم يحتلّ الصدارة في معظم السرديات، سواء الإمبريالية الأوروبية أو حتّى سرديات التاريخ الألماني نفسه"، وأنّ "التجربة الاستعمارية الألمانية اعتُبرت هامشية وغير مهمّة".^{٣٣} تركّز إعادة تحليل كونراد للنقاشات حول الاستعمار الألماني على الطرق التي جرى بها إضفاء الطابع الخارجي على الاستعمار، كما لو أنّ الفظائع التي ارتكبتها المستعمرون الألمان في ما وراء البحار كانت غير ذات صلة بتاريخ ألمانيا، وكأنّه من الممكن اعتبار الدولة ومستعمراتها 'كيانين منفصلين'.^{٣٤} في العام ٢٠١٣، خلّص كونراد إلى أنّ "تاريخًا عالميًا مصححًا" كان "ضروريًا وفي وقته"، ولم يتغيّر الكثير منذ ذلك الحين، لكنّ هذا التصحيح يبدو أكثر إلحاحًا الآن.^{٣٥} توضّح لارا فريكي الأسباب التي تدفع الخطاب الألماني العام على الدوام إلى افتراض أنّ الاستعمار

إذن، فإن تقييم النزوع الجمعي للتماهي مع المستوطنين الصهاينة في إسرائيل- فلسطين ومع دولتهم، هو أمر بالغ الأهمية في تفسير عقدة مناهضة معاداة السامية الألمانية. في مداخلة ثاقبة، يؤكد مارتن براخ-ماكسفيتس على تماهي ألمانيا ما بعد الحرب مع 'الرؤاد' اليهود في إسرائيل الناشئة حديثاً في سياق 'الإحباط' الألماني الاستعماري.

عليها المرء، لكنهم لصوص، وإذا لم يكونوا يسرقون الأرض بأنفسهم، فهم يحصلون عليها من سارق آخر. من دون فهم لعواقب هذا المنع الكامل من تاريخ الاستعمار الألماني، سيظل دعم الدولة الألمانية -والذي يعتمد على وجوده- لما يصفه بأنه "حق إسرائيل الإنساني في الاستعمار" غير قابل للتفسير.^{٤٤} إن ما يمكن من الدفاع عن الاستعمار عمومًا هي تلك الميخلة الخالية من التساؤلات، المليئة بمستوطنين مسالمين، لتخلق مجالاً خطابياً يمكن من خلاله الدفاع عن الفئات الاستعمارية والاستغلال. ربما ليس من قبيل الصدفة أن تكون مساهمات باحثين أستراليين ذات صلة بهذا النقاش - فأستراليا هي، بعد كل شيء، المكان الذي ظهر فيه حقل دراسات الاستعمار الاستيطاني لأول مرة وترسخ كحقل أكاديمي. من هؤلاء الباحثين، الباحث البارز في مجال القومية الاستيطانية الأسترالية، غسان حاج، والذي ألقى خارجاً، وكان قد فقد عمله في "معهد ماكس بلانك" بداية شباط ٢٠٢٤ لتبنيته "معاداة السامية كما يعرفها القانون الألماني"، وهو الأمر الذي دفعني في الأصل لكتابة هذه المقالة.^{٤٥} وكذلك جرى نفي موسى، باحث أسترالي آخر، وكلاهما كتب بشكل موسع عن الاستعمار الاستيطاني (وأنا أستخدم هنا استعارات عسكرية ودينية لأن مسألة الاستعمار في النقاشات التاريخية الألمانية تبدو وكأنها بالفعل صراع دام ثلاثين عاماً).

نحن نشهد خيالاً استعماريًا استيطانيًا لم تجر إعادة بنائه بالكامل، سواء في الأوساط الأكاديمية أو خارجها.^{٤٦} والحجة الأساسية في هذا السياق، وإن كانت ضمنية، هي أن حرمان إسرائيل من القدرة على

(يصبح المنطق المكاني نافذًا: فالانتقادات يمكن قبولها في الأوراق الأكاديمية، مثلًا، لكن لا يُسمح بذكرها في الأماكن العامة، حيث لكل مكان محرّماته الخاصة حول ما يمكن وما لا يمكن قوله عن الاستعمار).^{٤٢} لكن التعامل مع الاستعمار الاستيطاني الألماني، بشكل خاص، لا يتوقف عند إنكاره، بل على المنع الكامل من الاقتراب منه.^{٤٣} وفي غياب نقد الاستعمار، يبقى المستوطن في الخيال شخصًا منعزلًا، يكبح في فراغ اجتماعي سياسي، يستوطن أرضًا تُصوّر على أنها فارغة وجوديًا، مجرد فضاء، مستعمر طاهر دون استعمار. ولذلك يجب الدفاع عن الاستعمار ضد ما بعد الاستعمار، وهو ما يحدث بالفعل، خاصة في الصحافة. ومن المؤكد أنه يمكن للمستوطن، المستوطن المهاجر، المستوطن على الحدود، الرائد الألماني، مزارع الأرض الهادئ، يمكن أن يترك بمفرده... هذا المستوطن هو محض خيال، ترافقه مجموعة من الصور المنفصلة كليًا عن الواقع التاريخي، المرتبطة بميخلة 'الحدود' التي جرى استبعادها تمامًا الآن. لكنّها ميخلة قويّة، تغذيها صور حميمية في كتب الأطفال وألعاب الطاولة الشهيرة التي تتنافس فيها مجموعات المستوطنين لكن دون أن تدخل حربًا مع بعضها البعض. لكن 'الحدود' ليست منطقة رومانسية، بل هي منطقة موت، وليس ثمّة من 'وينيتو' نبيل هناك يمنح المغتصبين رُتب النبالة. يطمع المستوطنون في الأرض وحيوات الآخرين، ويجردون السكّان الأصليين بعنف من ممتلكاتهم. وإذا لم يكونوا يمارسون العنف، فهذا لأنهم قد انتزعوا هذه الأملاك بعنف من قبل أو سبقهم إلى ذلك شخص آخر. ربما يجسد المستوطنون أو يمثلون صفات يوافق



البحث عن ناجين بين الركام في الشيخ رضوان بغزة يوم ٢٣ أيلول ٢٠٢٤. (أ.ف.ب)

السامية الألمانية. في مداخلة ثاقبة، يؤكّد مارتن براخ-ماكسفيتس على تماهي ألمانيا ما بعد الحرب مع 'الرواد' اليهود في إسرائيل الناشئة حديثاً في سياق 'الإحباط' الألماني الاستعماري.^{٤٨} يرى براخ-ماكسفيتس أن هذا "التضامن والإعجاب بإسرائيل" لم يكونا "تعبير تكفير عن جرائم الاشتراكية الوطنية (النازية)، بل أقرب ليكونا شكلاً من أشكال التعويض بالاستعمار بالوكالة".^{٤٩} كما أنه يربط بين الهياكل العاطفية هذه وعملية "إعادة البناء الثقافي والجسدي" لألمانيا ما بعد الحرب.^{٥٠} وقد كان هناك العديد من العائدين أيضاً، وقد استوطنوا من جديد - مستوطنين يتمتعون بحقوق أصيلة ودعم سياسي، يُنتج الإحباط والتعاطف تأثيرات ومشاعر قوية، لكن التماهي مع مستوطنين رواد 'مسالمين' يجري تصويرهم من خلال تمثيلات خيالية لعمليات الاستعمار، هو ما يدعم قراءة متخيلة للصراع الإسرائيلي الفلسطيني. لذلك يجب استكشاف ديناميكيات هذا التماهي، ويمكن لدراسات الاستعمار الاستيطاني المساعدة في هذا السياق.

بعيداً عن صورة المستوطن الرائد 'القوي'، ثمة

استعمار الآخرين سيكرّر الاستبعاد المعادي للسامية لليهود من 'الغرب'. لقد مارس الأوروبيون الغربيون الاستعمار وعرفوا من خلاله؛ وعليه فحرمان الصهاينة في إسرائيل-فلسطين من 'حقهم' في الاستعمار سيكون بمثابة تمييز معادٍ للسامية ضدهم. ويُزعم أيضاً أن ألمانيا قد جرى استئصالها من الغرب من خلال حرمانها من 'الحق' في استعمار الأراضي البعيدة بعد الحرب العالمية الأولى، ويسهم هذا التشبيه في التماهي الهوياتي بشكل إسقاطي.^{٥١} لكنّ هذا الإسقاط والمشارع المرافقة له، يتجاهلان بشكل كامل الفلسطينيين بوصفهم كائنات بشريّة، ويركزان بصورة نرجسية على الألمان بشكل كامل. وهذا ليس تفصيلاً بسيطاً؛ فالاستمرار في التركيز على الذات وتجاهل إنسانية الآخرين هو تعريف جيّد لنزعة الاعتلال الاجتماعي.

سؤال التماهي ودراسات الاستعمار الاستيطاني

إنّ، فإنّ تقييم النزوع الجمعي للتماهي مع المستوطنين الصهاينة في إسرائيل-فلسطين ومع دولتهم، هو أمر بالغ الأهمية في تفسير عقدة مناهضة معاداة

في هذه النقطة، يضع موسى ملاحظاتٍ حادةٍ حول الطرق التي تستمرُّ فيها 'محاباة اليهود' بـ «رؤية اليهود في ألمانيا كضيوّف، وليسوا ألمانيًا كليًا، والمجتمع اليهودي بوصفه ممثلًا لدولةٍ خارجيّة، إسرائيل»، منتهيًا إلى أنّ عمليّة 'إعادة التشجير' ترى اليهود كـ «يهود في ألمانيا (Juden in Deushland)، وليسوا ألمانيًا يهودًا أو يهودًا ألمانيًا».

صراع متكافئ بين مشاريع قوميّة متشابهة تتنافس على ذات الأرض تفقد تماسكها.

إلى جانب ذلك، فإنّ نسبة 'اليهود' إلى إسرائيل واعتبارهم 'سكّانًا أصليّين' لها، كما يفعل العديد من المساهمين في الخطاب الألمانيّ العامّ، وفقًا لفهم للهويّة الأصليّة يتجاهل عمليّة الاستعمار الاستيطانيّ بوصفه نمطًا من الهيمنة، هو طريقة للتلميح بشكل حاسم إلى أنّ اليهوديّة ليست جزءًا من تكوين الهويّة الألمانيّة، أي أنّها ليست أصليّة في ألمانيا؛ وذلك منطبق تقليديّ معادٍ للسامية. إنّ 'إعادة تشجير' البلاد بالحياة اليهوديّة هو هدف للسياسة الحاليّة ويحتفل به، لكن فقط طالما بقيت تلك الحياة بمثابة زراعة خارجيّة. وبذلك لا يبدو الاحتفاء بإحياء الحياة اليهوديّة الحاليّ إعجازيًا إذا أخذنا في الاعتبار التكرار المتواصل لفكرة أنّ اليهود أصليّون في مكانٍ آخر - وبذلك غرباء إلى الأبد.

في هذه النقطة، يضع موسى ملاحظاتٍ حادةٍ حول الطرق التي تستمرُّ فيها 'محاباة اليهود' بـ "رؤية اليهود في ألمانيا كضيوّف، وليسوا ألمانيًا كليًا، والمجتمع اليهودي بوصفه ممثلًا لدولةٍ خارجيّة، إسرائيل"، منتهيًا إلى أنّ عمليّة 'إعادة التشجير' ترى اليهود كـ "يهود في ألمانيا (Juden in Deushland)، وليسوا ألمانيًا يهودًا أو يهودًا ألمانيًا".^{١٠} وفي حين أنّ التشجير كاستعارة يستحضر على الفور المزرعة، وهي مكوّن استعماريّ بامتياز، إلا أنّ هذا التأكيد على الانتماء الأصليّ لمكانٍ آخر هو في الحقيقة هدّية مسمومة؛ فالحياة اليهوديّة في ألمانيا ستكون محميّة، صورة البلاد عن نفسها كدولة ديمقراطيّة وليبراليّة تعتمد على ذلك، لكنّها أبدًا لن تكون مكوّنًا عضويًا أو تحمل انتماءً كاملًا.

نماذج رمزيّة أخرى عن الاستعمار الاستيطانيّ تسكن مخيلة معيّنة وتسهم في استمرار عمليّة التماهي. على سبيل المثال، صورة اليهودي الإسرائيليّ 'الأصليّ' في فلسطين، والذي تأصلن هناك، أو سيتأصلن في لحظة ما مستقبلاً. وذلك محض خيال، ويمكن لعدسة دراسات الاستعمار الاستيطانيّ التفسيرية والمستندة إلى فهم سياقيّ للطرق التي يتشكّل فيها 'المستوطنون' و'الأصليّون' بشكل تبادليّ في سياق علاقة غير متكافئة، أن تفسّر لماذا لا يمكن للمستوطنين الصهاينة أن يكونوا 'أصليّين' في فلسطين، إلا في حال توقّف علاقة التهجير والعنف غير المتكافئة (إذا كانت الأصليّة تتكوّن من الدوام والإخضاع، فالتساؤل حول الزمن اللازم لتحوّل المستوطنين إلى أصليّين يشبه محاولة تخمين المدّة التي يجب على صناعيّ أن يستغلّ فيها عمّاله ويزور مصنعه قبل أن يتحوّل إلى بروليتاريّ - ليس ثمّة منطوق هنا).

إنّ للرابط التاريخيّ الذي يجمع اليهود مع الأرض في إسرائيل-فلسطين أهميّة ومعنى، وهذا أمر لا يمكن إنكاره، لكنّه ليس رابطًا وجوديًا لجماعة أصليّة (والجدير بالذكر أنّ القصّة التوراتيّة التي يجري الاستشهاد بها لدعم ادعاءات الصهيونيّة تقول إنّ اليهود كانوا جماعة قبل دخولهم الأرض، وأنّهم غزوها، وقد كانت هناك شعوب أخرى في تلك الأرض - وهذا لا يشكّل ادعاءً بالأصليّة). لكنّ عدم كونهم 'أصليّين' لا يعني عدم شرعيّة الادعاءات الإسرائيليّة - فالجماعات الاستيطانيّة تقيم روابط تاريخيّة ذات معنى مع الأرض؛ بل يعني، مع ذلك، أنّ الأفكار عن

هكذا تَسْتَبْدِلُ محاباة اليهود معاداة السامية، لكن، وبالتزامن، يُعادُ التأكيد على الاغتراب الذي لا يمكن جسره في شكل نفي مكاني. إنَّ معاداة السامية بشكلها القديم توشكُ على العودة.^{٥٢}

كما أنَّ ثمة شخصيات أخرى تسكن هذه المخيلة وتسهم في تعزيز هذا التماهي: مثل الناجين من تدمير يهود أوروبا والمطرودين من الدول العربية، الذين وصلوا إلى إسرائيل الناشئة حديثاً - اللاجئيين. هذه الشخصيات التاريخية حقيقية، وليس من المفاجئ أن يُمكنوا لهذا التماهي، خاصة في حالة ألمانيا؛ فهم حقيقيون ولكن ليسوا معاصرين، لكن التركيز على الاستعمار الاستيطاني كنمط مميز من الهيمنة يُضفي على تحوُّل هؤلاء الناجين في إسرائيل-فلسطين إلى مستعمرين استيطانيين في إطار علاقة من الهيمنة تهدف إلى إخضاع الفلسطينيين. كانت غاية الصهاينة أن يُقذوا اليهود من معاداة السامية، لكن كان على اللاجئيين، وفقاً لرؤية الصهيونية كحركة سياسية، وفي بحثها عن الدولة والسيادة، كان عليهم أن يكونوا أبداً مستوطنين.^{٥٣} هذه الخصوصية لا تجعل من الصهيونية حالة شاذة في تاريخ توسع الاستعمار الاستيطاني العالمي؛ فمشاريع الاستعمار الاستيطاني كانت مدفوعة بشكل متكرر بإمكانية 'إنقاذ' المستوطنين المستقبلين من خطرٍ مميتٍ متخيَّل أو حقيقي، من اضطهاد ديني، من الفقر المدقع أو المجاعة، من إمكانية الثورة، من خسارة السمات الوطنية أو حتى الرجولية، وأكثر من ذلك. كلُّ المشاريع الاستيطانية السياسية تعمل على تحويل مهاجريها إلى مستوطنين - ذلك ما يفعلونه وهو مصدر قوتهم الديمغرافية. في لحظة ما، يُصبح اللاجئون مستوطنين. لقد انتصرت الصهيونية وبنّت دولة قووية، والآن تمتد الهيمنة الاستعمارية الاستيطانية لتشمل كلَّ الأرض.

كما أنَّ التماهي ممكن أيضاً لأنَّ العلاقات والتاريخ الاستعماريين دائماً ما تُحجَبُ بشكل متعمد. إنَّ الصهيونية هي حركة استعمارية استيطانية، ولطالما صرَّح بذلك وبفخر المتحدِّثون باسمها، حتى وإن لم ينحدر الصهاينة من مركز إمبرياليٍّ معيَّن - فالواقع أنَّ كلَّ المشاريع الاستعمارية الاستيطانية تكوَّنت من تجمُّع مجموعة من المستوطنين المنحدرين من أماكن وخلفيات مختلفة. ومع انتقال السيادة عبر المستوطنين إلى الحدود، يستاء المستوطنون من سلطة

العاصمة ودائماً ما يسعون إلى تأكيد امتيازاتهم السيادية. ومرةً أخرى، تتشارك الصهيونية هذه التجربة مع حركات استعمارية استيطانية أخرى؛ فهي ليست حالة شاذة. إضافة إلى ذلك، عمِلَ الاستعمار الصهيوني الاستيطاني ولا يزال في سياق جيوسياسي يتقاطع فيه صراع المستوطنين ضدَّ الجماعة الأصلانية مع الطموحات الإمبريالية - تلك الخاصة ببريطانيا خلال فترة الانتداب، ولاحقاً وحتى الآن، مصالح الولايات المتحدة الأمريكية.

ولكن إضافة إلى ذلك، ويجب التشديد على هذا الأمر، أيضاً مصالح ألمانيا ما بعد الحرب والمعاصرة؛ فربطُ 'منطق الدولة' بأمان إسرائيل يوسِّع من امتداد سيادة الدولة وينتجُ أصداء استعمارية شديدة الوضوح. يحدث ذلك عندما يجري إسقاط جزء من سيادة الدولة خارج نفسها، في تشويه لنموذج "ويستفاليا" الذي له سوابق مهمة؛ فكلُّ المراكز الاستعمارية التزمت بحماية مستعمراتها في ما وراء البحار، وفهَّمت أن منطق الدولة يكمنُ في ضمان حماية مشاريعها الاستعمارية التي ترعاها. ألا يجب اعتبار أن ترتيب 'منطق الدولة' هذا يتضمَّن بالضرورة امتداداً لسيادتها على الجماعة الوطنية الفلسطينية، الجماعة التي تسكن أرضاً تستهدفها السيادة الصهيونية أصلاً؟

يلاحظ موسى أيضاً أن "تماهي ألمانيا مع إسرائيل القائم على محاباة اليهود"، يجعل من إسرائيل فعلياً جزءاً من الفضاء السياسي الألماني.^{٥٤} وعليه، يمثل هذا الأمر مأزقاً استعماريًا، وحتى لو لم يُدرك الخطاب العام خضوع الذوات المستعمرة للدولة من خلال 'منطقها' السیادي، واستمرَّ ذلك دون أي أسئلة، فذلك لن يكون المرة الأولى التي تدعم فيها المراكز الاستعمارية بشكل روتيني المستوطنين في المستعمرات البعيدة دون أدنى اهتمام بالمستعمرين. الأفكار عن الوصاية ظهرت لاحقاً، ومن الملفت عدم الاعتراف الصريح بهذا المأزق باعتباره استعماراً. ومع ذلك، ينبغي التأكيد، أنه وبغض النظر عن النفاق الألماني بشأن المعايير الدولية وحقوق الإنسان، فإنَّ ادعاء امتيازات استعمارية على مجموعة مستعمرة يأتي مع التزامات وصائية يجب على المستعمر احترامها في علاقته مع رعاياه. يُقال إنَّ بريطانيا أسست إمبراطورية في لحظة من الغفلة؛ وفي هذه الحالة توسَّع ألمانيا واحدة في لحظة من العمى. الشخصية الأخيرة التي تمكَّن من التماهي مع

يمكنُ لدراسات الاستعمار الاستيطاني، وهي أبعد ما تكون عن معاداة السامية، أن تساعد بوصفها أداة تحليلية. إذ يمكنها المساهمة في تفسير التماهي مع المستوطنين المستعمرين الصهاينة، ويمكنها تسليط الضوء بشكل كبير على نظام ألمانيا ما بعد التوحيد.

من استيلاء عكسي؛ فعمليات المصالحة في المجتمعات الاستيطانية -وهي عمليات تجري بدرجات متفاوتة من الإرادة منذ تسعينات القرن الماضي في عديد المجتمعات الاستيطانية - تتعلّق بالأساس بإلغاء أيّ عمليات استعمار جارية، وليس التراجع عن الاستيلاء. تتعلّق هذه العمليات بالمستقبل، حيثُ تبدأ الدول الاستيطانية هذه العمليات وتتابعها، وهي محلّ جدل شديد، والكثير من الجماعات الأصلانية لا تزال متشبّكة حول نتائجها، لكن في النهاية يجري تجاوز حالة المنع. أحياناً تقدّم الدول الاستيطانية اعتذاراً. ليس ثمة من معايير مزدوجة، فهناك العديد من المجتمعات الاستيطانية في معظم القارات؛ ليس ثمة من شيطنة، فالتركيز ينصبّ على عمليات تفكيك الاستعمار والمصالحة؛ وليس ثمة نزع للشرعية، فالمهمّة هي اجترار المزيد من الترتيبات السياسية الملائمة. والسماح لا تسقط على رؤوسنا.

خاتمة: البدائل

يمكنُ لدراسات الاستعمار الاستيطاني، وهي أبعد ما تكون عن معاداة السامية، أن تساعد بوصفها أداة تحليلية. إذ يمكنها المساهمة في تفسير التماهي مع المستوطنين المستعمرين الصهاينة، ويمكنها تسليط الضوء بشكل كبير على نظام ألمانيا ما بعد التوحيد. هنا يمكن ملاحظة مأزق استعماريّ استيطاني تقليديّ، فرفض النظام السابق يحوّل الدولة إلى مجتمع جديد، يعرف نفسه سياسياً وتصورياً كما تفعل الدول الاستيطانية. تشبه ألمانيا الموحدة ما بعد الحرب الباردة دولة استعمار استيطاني - فـ'المثلث

إسرائيلي هي طيف، طيف اللاجئين الإسرائيليّ المزعوم في مستقبل متخيّل، مستقبل ما بعد النهاية الصادمة للاستعمار الاستيطانيّ.^{٥٥} الافتراض في هذا الاحتمال الخياليّ، هو أنّ بديل الاستعمار الاستيطانيّ الوحيد والحتميّ هو شكل عكسيّ من التطهير العرقيّ يضطرّ فيه المستوطنون إلى الرحيل إذا انتهى حكمهم. لاجئ المستقبل الديستوبيّ الافتراضيّ هذا، هو الذي يجعل من كلّ تحدٍّ لعمل إسرائيل كدولة استعمارية عرقية وإقصائية، معادياً للسامية. والحجّة دائماً أنّ أيّ معارضة لهذا التصميم يقوِّض حقّ إسرائيل في الوجود. وهذا المنطق يعتمد على سلسلة من الانتقالات المجازية غير المعقولة - أولاً، يجري طمس التمييز بين الدولة والسياسات التي تنتهجها، بحيث تصبح معارضة السياسة بمثابة هجوم على الدولة، ثمّ يجري الخلط بين الهجوم المتصوّر على الدولة وإنكار حقّها في الوجود، ومن ثمّ يُعتبر الهجوم المتخيّل على حقّها في الوجود هجوماً على كلّ اليهود، أينما كانوا.

لكنّه تكهّن خياليّ - طيفٌ يُستدعى لأغراض سياسية. على العكس، فإنّ التركيز على الاستعمار الاستيطانيّ بوصفه نمطاً محدداً من الهيمنة يؤكّد على أنّ الصراع الإسرائيليّ الفلسطينيّ ليس استثنائياً (بل هو عكس معاداة السامية الخالصة أو ازدواجية المعايير). إنّ التركيز على الاستعمار الاستيطانيّ سيمكّن من إجراء مقارنة مع مجموعة ممارسات دولية متزايدة، حيثُ يجري إعادة تشكيل الدولة الاستعمارية الاستيطانية في ترتيبات دستورية جديدة تمكّن من تقرير المصير والسيادة. وكذلك التعايش - حيثُ المستوطنون -أحفادهم- لا يغادرون. ليس ثمة

لكن عند رؤيته من وجهة نظر فلسطينية، يبدو هذا النظام أكثر إثارة للدهشة، والفرق الجوهرى الوحيد في المعارضة التي تفصل بين الأحزاب السياسية التي يُنظر إليها على أنها قادرة على المساهمة في الحكم، وتلك التي تُعتبر غير مقبولة مثل «حزب البديل من أجل ألمانيا» (AFD)؛ هو أن الأحزاب الأولى ترى أن الاستعمار الاستيطاني لفلسطين مقبول وكذلك تطهيرها عرقياً، في حين ترى الأخيرة أن التطهير العرقي يجب أن يجري في البلاد أيضاً

و'الهستريا' التي تشير إليها نيمان تستدعي 'بارانويا الوطنية الاستيطانية' التي تتبّعها هاج بشكل أساسي في حالة أستراليا.^{٥٨}

يساعد هذا التناظر في فهم احتجاجات عام ٢٠٢٤ ضد أقصى اليمين وكذلك دعماً لإسرائيل؛ ولا معنى لهذا التقاطع من دون تقييم مثلث محدّد، ودون الأخذ بالاعتبار الذات الواقعة بين إسقاطات بالأخروية الأصلانية والخارجية. وبطبيعة الحال، لا علاقة لداعمي حقوق الإنسان الفلسطينية بالمتطرفين من أقصى اليمين، بخلاف اعتبارهم، على التوالي، 'أخريين' خارجيين، وأصلانيين سابقين لنظام سياسي يعمل كما لو أنه قابع في نفسه.

لكن عند رؤيته من وجهة نظر فلسطينية، يبدو هذا النظام أكثر إثارة للدهشة، والفرق الجوهرى الوحيد في المعارضة التي تفصل بين الأحزاب السياسية التي يُنظر إليها على أنها قادرة على المساهمة في الحكم، وتلك التي تُعتبر غير مقبولة مثل "حزب البديل من أجل ألمانيا" (AFD)؛ هو أن الأحزاب الأولى ترى أن الاستعمار الاستيطاني لفلسطين مقبول وكذلك تطهيرها عرقياً، في حين ترى الأخيرة أن التطهير العرقي يجب أن يجري في البلاد أيضاً. يُنظر إلى الدفاع عن الحق في الاستعمار ما وراء البحار من قبل الرأي السائد، على أنه حاسم للحفاظ على التماسك السياسي، بينما لا يرغب "البديل من أجل ألمانيا" بالالتزام بالفصل الاستعماري التقليدي بين المستعمرة والمركز الاستعماري. إنّه مأزق غريب: كلا الجانبين يفكران في الاستعمار، أحدهما يعلن ضمناً قبوله في مكان ما، والآخر يرغب فيه في كل مكان. ومع ذلك، لا يشير أيّ

الأخلاقيّ ليس خاصاً بها (عادة ما يتمحور الاستعمار الاستيطانيّ حول مثلث ديناميكيّ يشمل المستوطنين، والآخر الأصلانيّ، والآخر الخارجيّ).^{٥٦} ففي سياق ألمانيا ما بعد التوحيد، أُعيد تشكيل مسألة الهجرة متعدّدة الثقافات داخل مثلث يتضمّن موقفاً ذاتياً متماثلاً مع موقف المستعمّر الاستيطاني: فبمواجهتها بالتزامن لآخر خارجيّ وآخر أصلانيّ، كانت ألمانيا الشرقية (GDR) 'مستعمرة' بالفعل، وقد قُعمت أصلانيّتها (وكانت خيالات 'إعادة الهجرة' هي البديل لأولئك الذين يمكن تصويرهم على أنّهم خارجيون).

ومثل ألمانيا المعاصرة، ترفض المجتمعات الاستيطانية التاريخ أيضاً - حيث تركه حرفياً وراءها بينما تبني كياناً جديداً في مكان 'جديد'.^{٥٧} يعيش المستوطنون بلا أعباء في مكانهم الجديد، وتزدهر مجتمعاتهم في عالم جديد، حيث يعرفون أنفسهم في مواجهة الماضي الذي يجب استبداله، وضد الهويات الخارجية التي يجب إدماجها. وبالمثل، في ألمانيا المعاصرة، فإنّ الماضي الذي يجب التخلي عنه هو الماضي النازي، بالطبع، لكن أيضاً تجربة ألمانيا الشرقية - حيث يقبع خطاب الدولة في نفسه. إنّ التجربة الديمقراطية التعددية في ألمانيا، مثل تلك الموجودة في المجتمعات الاستيطانية الأخرى، تقوم على نفي التاريخ، ومن الملفت أنّ الخطاب العام مهتمّ بشكل خاصّ بما يُعتبر تهديداً مفترضاً لذاكرة الهولوكوست في ألمانيا الشرقية السابقة، وهي منطقة غالباً ما تُصوّر بشكل استباقيّ على أنّها معادية للسامية بطرق تُعيد إنتاج الافتراض الموازي عن معاداة السامية الذي يُسقط عادة على المهاجرين المسلمين. الاندماج هو الاحتمال الوحيد المتاح،

الذين لا يستطيعون أو لا يرغبون في التمييز بين إسرائيل ككيان سياسي وسياساتها العرقية الاستعمارية الحالية في الضفة الغربية وغزة، يتصرفون بطريقة معادية للسامية من خلال اتهامهم الخاطئ لخصومهم بمعادة السامية.

بالقلق. وهي تفعل ذلك ضمناً، ولأسباب سياسية، لكن هذا ليس مطمئناً؛ فمعادة السامية غير مقبولة سواء كانت عفوية أو مقصودة، صريحة أو ضمنية. إن العنصرية والتجريد من الإنسانية سامان ويسممان. ويجب أن ندرك هذا السمّ عندما يظهر، خاصة عندما يُقدّم هذا السمّ كعملية تطهير خلاصية.^{٦١}

إن التماهي، والفشل في التفكير بالاستعمار الاستيطاني كنمط محدد من الهيمنة، ينتجان مأزقاً؛ ومثلما هو أسهل تخيل نهاية العالم من نهاية الرأسمالية، كذلك من الأسهل تخيل نهاية الحياة اليهودية في فلسطين من تخيل نهاية الاستعمار الإسرائيلي. وهنا يصبح تخيل البدائل والسعي وراءها أمراً حاسماً؛ وهناك بدائل -إنهاء الاستعمار- ويمكن للتجربة الألمانية المساهمة في هذا الخيال. على سبيل المثال، عند النظر إلى جدل 'الدولة الواحدة' مقابل 'الدولتين' في إطار التاريخ الألماني الحديث، سنجد الكثير من التشابهات الخاصة. إذ واجهت البلاد أيضاً، بعد كل شيء، معضلة 'حل الدولة الواحدة' أو 'الدولتان'، قبل أن تنتهي لاعتناق حل الدولة الواحدة. وربما يكون حل الدولتين في إسرائيل-فلسطين ترتيباً مؤقتاً يقود نحو دولة ديمقراطية واحدة. في حالة ألمانيا كان الضمّ مباشراً، وربما في حالة إسرائيل/فلسطين يكون اتحاداً ديمقراطياً. هناك بدائل، ويجب السعي نحوها، كما كانت هناك بدائل في جنوب أفريقيا، حتى مع مجادلة العنصريين البيض الدائمة بأنّ معارضة الفصل العنصري (الأبارتهايد) تعني إنكار حقّ مجتمع الأفريكانز في الوجود. لقد كانوا عنصريين ومستعمرين، وكانوا مخطئين. لكنّ

منهما إليه بشكل مباشر. عند النظر إليه من الخارج، يبدو منطوق الدولة غير معقول وغير مستقر. ماذا لو اتفقنا على أنّ الاستعمار والتطهير العرقي غير مقبولين في أيّ مكان؟ "أبداً مرّة أخرى" (Never Again) يجب أن تعني أيضاً 'ليس في أي مكان أبداً'.

بعد مفارقة مناهضة معاداة السامية التي تعمل كمعادة للسامية وتنتج مشاعر معادية للسامية، المأساة هي أنّه، وبالرغم من النوايا والجهود، يحلّ المنع محلّ الإنكار. التفاعل النقدي لا يزال يُجهض مسبقاً، فالتعامل مع تعليم الهولوكست و'التصالح مع الماضي' (Vergangenheitsbewältigung)، يولّدان مفاعيل منزع واضحة.^{٦٢} يجب علينا التركيز على هذه المفاعيل؛ فهي تأتي بعد المنع؛ الإنكار لم يعد موجوداً، والاعتراف أصبح إلزامياً، لكنّ 'التصالح مع الماضي' يتحوّل إلى تذكّر طقوسي. وأي شيء آخر يُطرح على الطاولة يُعتبر محاولة لتقليل أهمية هذه المواجهة الأصلية، خطوة إلى الوراء. يُترك الإنكار والمنع في تعارضهما الزائف. الإنكار كان مستحقاً للإدانة، لكنّ المنع دائماً ما يثير القلق؛ اسأل أيّ محلّ نفسي. كما تبدو إشارات التهنية الذاتية المتكررة على 'التصالح مع الماضي' الناجح والجماعي، تبدو غير صادقة في مواجهة الإصرار المستمرّ على تجاهل العنف الاستعماريّ للحفاظ على أوهام الاستعمار الاستيطاني.^{٦٣} وإذا كانت الدولة الألمانية تستخدم الرموز المعادية للسامية، حتى لو ضمناً، وذلك يشمل فكرة أنّ إسرائيل لا يمكنها إلا أن تكون دولة استعمارية إثنو-قراطية، ولا يمكن أن تكون شيئاً آخر، وأن اليهود لا يمكنهم إلا أن يكونوا مضطهدين للفلسطينيين، ولذلك يجب أن نشعر

غالبية الأفريكانز في جنوب أفريقيا تبَنّوا مجتمع ما بعد الفصل العنصري.

الذين لا يستطيعون أو لا يرغبون في التمييز بين إسرائيل ككيان سياسي وسياساتها العرقية الاستعمارية الحالية في الضفة الغربية وغزة، يتصرفون بطريقة معادية للسامية من خلال اتّهامهم الخاطيء لخصومهم بمعاداة السامية. ليس ثمة سبب للاعتقاد بأنّ الأمور لا يمكن أن تتغيّر، وأنّ إسرائيل لا يمكنها إلا أن تكون دولة استعمارية استيطانية، وأنّ اليهود في فلسطين لا يمكنهم أن يكونوا إلا مستوطنين استعماريين. إلى جانب

ذلك، القول ضمناً أو صراحة إنّ الإسرائيليين أو 'اليهود' لا يمكنهم أن يتغيروا قد يكون الأمر الأكثر عداءاً للسامية على الإطلاق. وبالمثل، لا يوجد سبب للاعتقاد بأنّ سياسة المنع الألمانية يجب أن تبقى كما هي. يجب على المشرعين الألمان التراجع رسمياً عن تعريف "التحالف الدولي لإحياء ذكرى الهولوكست" (IHRA) لمعاداة السامية، خاصة أنّه في جوانب مهمّة منه يعتبر نصّاً معادياً للسامية. بإمكانهم تبني تعريف أفضل، مثل "إعلان القدس حول معاداة السامية"، فقد يكون نقطة انطلاق أكثر ملاءمة.^{٦٢}

الهوامش

- ١ مثلاً، صدر ردّ مدروس على هذه الاتهامات في بيان "الجمعية البريطانية لدراسات الشرق الأوسط"، انظر البيان: Statement on Settler Colonialism, Decolonisation and "Antisemitism", ١٩ شباط، ٢٠٢٤، <https://www.brismes.ac.uk/news/brismes-statement-on-settler-colonialism-decolonisation-and-antisemitism>.
- ٢ A. Dirk Moses, 'The German Campaign Against Cultural Freedom: Documenta 15 in Context', *Grey Room* 92 (2023): 74–93.
- ٣ See Ruth Wittlinger, 'The Merkel Government's Politics of the Past', *German Politics and Society* 26, no. 4 (2008): 9–27. The International Holocaust Remembrance Alliance definition of antisemitism is available at: <https://www.holocaustremembrance.com/resources/working-definitions-charters/working-definition-antisemitism>.
- ٤ على سبيل المثال، بداية أيار من العام ٢٠٢٤، في وقت ذروة الاحتجاجات الطلابية الداعمة لفلسطين في الجامعات الأميركية، وافق مجلس النواب الأميركي على "قانون التوعية بمعادة السامية"، والذي نصّ على أن تفرض وزارة التعليم بشكل واضح مبادئ تعريف "التحالف الدولي" لمعادة السامية. إن الرقابة حقيقية ولا تقتصر فقط على ألمانيا.
- ٥ من المهمّ أنّ أحد الذين صاغوا تعريف "التحالف الدولي" لمعادة السامية، قد كتب ضدّ محاولات تحويله إلى 'سلاح'، Kenneth Stern, 'I Drafted the Definition of Antisemitism: انظر: Rightwing Jews are Weaponizing It', *The Guardian*, December 13, 2019, <https://www.theguardian.com/commentisfree/2019/dec/13/antisemitism-executive-order-trump-chilling-effect>
- ٦ هذه سمة لا تقتصر فقط على تعريف "التحالف الدولي" لمعادة السامية، كتب المؤرّخ إنزو ترافيرسو متأملاً في استنفاد تقليد يهودي شهير في التفكير النقدي. انظر: Enzo Traverso, *(The End of Jewish Modernity)* (London: Pluto Press, 2016).
- ٧ For recent analyses, see Denijal Jegić, 'Why is Germany so Viciously Anti-Palestinian?' *Al Jazeera*, January 7, 2024, <https://www.aljazeera.com/opinions/2024/1/7/why-is-germany-so-viciously-anti-palestinian>; Ruairi Casey and Esra Özyürek, 'Germany Should Stop Outsourcing Its Shame Over Historic Antisemitism to Migrants', *Jacobin*, December 5, 2023, <https://jacobin.com/2023/12/germany-holocaust-memory-migrants-islamophobia-antisemitism-israel-gaza>.
- ٨ Esra Özyürek, 'Export-Import Theory and the Racialization of Anti-Semitism: Turkish- and Arab only Prevention Programs in Germany', *Comparative Studies in Society and History* 58, no. 1 (2016): 40–65; Esra Özyürek, *Subcontractors of Guilt: Holocaust Memory and Muslim Belonging in Postwar Germany* (Stanford: Stanford University Press, 2023).
- ٩ Elad Lapidot, *Jews Out of the Question: A Critique of Anti-Anti-Semitism* (Albany, NY: State University of New York Press, 2020).
- ١٠ صدر ردّ مدروس على هذه الاتهامات في بيان "الجمعية البريطانية لدراسات الشرق الأوسط"، انظر البيان: Statement on Settler Colonialism, Decolonisation and "Antisemitism", ١٩ شباط، ٢٠٢٤، <https://www.brismes.ac.uk/news/brismes-statement-on-settler-colonialism-decolonisation-and-antisemitism>.
- ١١ A. Dirk Moses, 'The German Campaign Against Cultural Freedom: Documenta 15 in Context', *Grey Room* 92 (2023): 74–93.
- ١٢ See Ruth Wittlinger, 'The Merkel Government's Politics of the Past', *German Politics and Society* 26, no. 4 (2008): 9–27. The International Holocaust Remembrance Alliance definition of antisemitism is available at: <https://www.holocaustremembrance.com/resources/working-definitions-charters/working-definition-antisemitism>.
- ١٣ على سبيل المثال، بداية أيار من العام ٢٠٢٤، في وقت ذروة الاحتجاجات الطلابية الداعمة لفلسطين في الجامعات الأميركية، وافق مجلس النواب الأميركي على "قانون التوعية بمعادة السامية"، والذي نصّ على أن تفرض وزارة التعليم بشكل واضح مبادئ تعريف "التحالف الدولي" لمعادة السامية. إن الرقابة حقيقية ولا تقتصر فقط على ألمانيا.
- ١٤ See Deborah Cole, 'German Court Convicts Activist for Leading "From the River to the Sea" Chant', *The Guardian*, August 7, 2024, <https://www.theguardian.com/world/article/2024/aug/06/german-court-due-to-rule-on-from-the-river-to-the-sea-case-in-test-of-free-speech>. For an historical overview of this repression and its evolution, see Anna-Esther Younes, 'Fighting Anti-Semitism in Contemporary Germany', *Islamophobia Studies Journal* 5, no. 2 (2020): 249–66. Younes examines the developing German discourse of anti-antisemitism since the early 2000s and focuses on what she defines as the 'War on Antisemitism'. For a focus on contemporary developments, see, for example, Vanessa E. Thompson and Pinar Tuzcu, 'Policing Palestine Solidarity: Moral Urban Panics and Authoritarian Specters in Germany', *Antipode*, May 15, 2024, <https://antipodeonline.org/2024/15/05/policing-palestine-solidarity/>; Yassin al-Haj Saleh, 'Gaza in Berlin: Projection, Censorship, and the Othering Machine', *Al Jumhuriya*, May 31, 2024, <https://aljumhuriya.net/en/2024/31/05/gaza-in-berlin/>; Gert Krell, 'Germany, Israel's Security, and the Fight Against Anti-Semitism: Shadows from the Past and Current Tensions', *Analyse & Kritik* 46, no. 1 (2024): 141–64.
- ١٥ Hannah Tzuberi and Nahed Samour, 'The German State and the Creation of Un/Desired Communities', *Contending Modernities*, February 22, 2022, <https://contendingmodernities.nd.edu/theorizing-modernities/the-german-state-and-the-creation-of-un-desired-communities>
- ١٦ Ibid.
- ١٧ Ibid.

- 30 See Daniel Marwecki, *Germany and Israel: Whitewashing and Statebuilding* (London: Hurst, 2020).
- 31 This reluctance is not a new phenomenon. See Sebastian Conrad, *German Colonialism: A Short History* (Cambridge: Cambridge University Press, 2011). On the 'Mbembe affair', see Aleida Assmann, 'A Spectre is Haunting Germany: The Mbembe Debate and the New Antisemitism', *Journal of Genocide Research* 23 (2021): 400–11. This controversy unfolded over the suitability of historical comparisons, like another famous debate had, the 'Historikerstreit' of the mid-1980s. See Michael Rothberg, 'Comparing Comparisons: From the "Historikerstreit" to the Mbembe Affair', Rosa Luxemburg Stiftung, November 23, 2020, <https://www.rosalux.de/en/news/id/43395/comparing-comparisons-from-the-historikerstreit-to-the-mbembe-affair>; Michael Rothberg, 'On the Mbembe Affair the Specters of Comparison', Goethe Institut, May 2020, <https://www.goethe.de/ins/us/en/kul/art/stp/deb/22019616.html>.
- 32 Henning Melber, *The Long Shadow of German Colonialism Amnesia, Denialism and Revisionism* (London: Hurst, 2024). Melber's book is a fundamental resource for a reconstructing the long-term evolution of historical debates surrounding the question of colonialism.
- 33 Sebastian Conrad, 'Rethinking German Colonialism in a Global Age', *The Journal of Imperial and Commonwealth History* 41, no. 4 (2013): 543–66, at 544.
- 34 Ibid., 544.
- 35 Ibid., 558.
- 36 Lara Fricke, 'Insisting on Uniqueness: Shame and Guilt in German Memory Culture and the Denial of Palestinian Perspectives', *History, Culture, and Heritage* 2 (2023): 131–8. See also Anonymous, 'Palestine Between German Memory Politics and (De-) Colonial Thought', *Journal of Genocide Research* 23, no. 3 (2020): 374–82.
- 37 Fricke, 'Insisting on Uniqueness', 135.
- 38 See A. Dirk Moses, 'The German Catechism', *Geschichte der Gegenwart*, May 23, 2021, <https://geschichtedergegenwart.ch/the-german-catechism>.
- 39 Fricke, 'Insisting on Uniqueness', 136.
- 40 See Jürgen Zimmerer, *Von Windhoek nach Auschwitz? Beiträge zum Verhältnis von Kolonialismus und Holocaust* (Berlin: LIT Verlag, 2011). This book is now translated in English: Jürgen Zimmerer, *From Windhoek to Auschwitz? Reflections on the Relationship Between Colonialism and National Socialism* (Oldenbourg: De Gruyter, 2024).
- 41 Howard Taylor, "'Grammars of Repair': Redress for German Colonialism in the Aftermath of the Shoah' (PhD dissertation, Columbia University, 2023). The Namibian government, unsurprisingly, is paying attention. See Tafi Mhaka, 'Namibia, Gaza and German Hypocrisy on Genocide: Namibia's Response to Germany's ICJ Intervention on Behalf of Israel Exposed the Former
- 20 Ibid., 29.
- 21 Wittlinger, 'The Merkel Government's Politics of the Past'.
- 22 See Susan Neiman, *Learning from the Germans: Race and the Memory of Evil* (London: Allen Lane, 2019).
- 23 Susan Neiman, 'Historical Reckoning Gone Haywire', *New York Review of Books*, October 19, 2023, <https://www.nybooks.com/articles/2023/10/19/historical-reckoning-gone-haywire-germany-susan-neiman>. See also Masha Gessen, 'In the Shadow of the Holocaust: How the Politics of Memory in Europe Obscures What We See in Israel and Gaza Today', *The New Yorker*, December 9, 2023, <https://www.newyorker.com/news/the-weekend-essay/in-the-shadow-of-the-holocaust>.
- 24 See, for example, Benjamin Tallis, 'The Zeitenwende Is Here, It's Just Unevenly Distributed', *Internationale Politik Quarterly*, April 3, 2023, <https://ip-quarterly.com/en/zeitenwende-here-its-just-unevenly-distributed>.
- 25 For an analysis of the imbrications of Zionism, antisemitism and Islamophobia, see Lorenzo Veracini, 'Islamophobia, Antisemitism, Zionism, Settler Colonialism', *Islamophobia Studies Journal* 7, no. 1 (2022): 96–107.
- 26 See Richard Evans, *The Coming of the Third Reich* (London: Penguin, 2005), 496.
- 27 I am not alone. See, for example, Ingar Solty, 'In Germany, Liberals Lead the Authoritarian Turn', *Jacobin*, May 27, 2024, <https://jacobin.com/2024/05/germany-afd-liberalism-militarism-authoritarianism>. This article was originally published as Ingar Solty, "'Innere Zeitenwende": Die AfD braucht keine Nazis, der Liberale Deutsche hilft schon genug', *Berliner Zeitung*, May 19, 2024, <https://www.berliner-zeitung.de/politik-gesellschaft/innere-zeitenwende-afd-braucht-keine-nazis-der-liberale-deutsche-hilft-schon-genug-li.2214494>.
- 28 See Hilla Dayan and Yolande Jansen, 'Antisemitism, Anti-Palestinian Racism and Europe: A Plea for a Critical and Democratic Debate', *Eurozine*, February 21, 2024, <https://www.eurozine.com/antisemitism-anti-palestinianracism-and-europe>; Anna Younes and Hanna Al-Taher, 'Erasing Palestine in Germany's Educational System: The Racial Frontiers of Liberal Freedom', *Middle East Critique* (2024), <https://doi.org/10.1080/19436149.2024.2383444/>.
- 29 See Hanna Al-Taher and Anna-Esther Younes, 'Lebensraum, Geopolitics and Race – Palestine as a Feminist Issue in German-Speaking Academia', *Ethnography* (2023), <https://journals.sagepub.com/doi/abs/10.1177/14661381231216845/>; Sultan Doughan, 'Free Palestine from German Guilt'? Responsibilization, Citizenship, and Social Death', *Errant Journal* 6 (2024): 11–20; Sami R. Khatib, 'Germany and Its Palestinian Discontents', *Journal of Visual Culture* 20, no. 2 (2022): 238–41; Omar Sabbour, 'German Guiltwashing in Times of Genocide', *Al Jazeera*, February 27, 2024, <https://www.aljazeera.com/opinions/2024/2/27/german-guiltwashing-in-times-of-genocide>.

- ٤٧ لا يقتصر التماهي التناظريّ بالطبع على ألمانيا، فالدعم الأميركيّ غير المشروط لإسرائيل يمكن تفسيره بالإشارة إلى تاريخ مشترك من القبح الاستعماريّ الاستيطانيّ، والأمر نفسه في كندا. See Lorenzo Veracini, 'Interacting Imaginaries in Israel and the United States', in *Edward Said: Debating the Legacy of a Public Intellectual*, ed. Ned Curthoys and Debjani Ganguly (Melbourne: Melbourne University Press, 2007), 293–312; Jeremy Wilde- man and M. Muhanad Ayyash, eds., *Canada as a Settler Colony on the Question of Palestine* (Edmonton: University of Alberta Press, 2023). Interestingly, in the US, Islamophobia has specifically anti-Palestinian and anti-Indigenous origins. See Moustafa Bayoumi, 'Decades of Spying and Repression: The Anti-Palestinian Origins of American Islamophobia', *The Guardian*, May 23, 2024, <https://www.theguardian.com/news/article/2024/may/23/islamophobia-us-palestine-history>.
- 48 Martin Braach-Maksvyts, 'Germany, Palestine, Israel, and the (Post)Colonial Imagination', in *German Colonialism: Race, the Holocaust, and Postwar Germany*, ed. Volker Langbehn and Mohammad Salama (New York: Columbia University Press, 2011), 294–314, at 295; emphasis in original.
- 49 Ibid., 295.
- 50 Ibid., 295.
- 51 Moses, 'The German Catechism'; A. Dirk Moses, 'Dialectic of Vergangenheitsbewältigung', *The New Fascism Syllabus*, June 15, 2021, <https://newfascismsyllabus.com/opinions/the-catechism-debate/dialectic-of-vergangenheitsbewaltigung>.
- 52 Rachael Shapiro, 'German Memory Culture, Anti-Semitic Zionists and Palestinian Liberation: Germany's Much Lauded "Memory Culture" is Pure, Empty, Self-Congratulatory Propaganda', *Al Jazeera*, March 1, 2024, <https://www.aljazeera.com/opinions/2024/1/3/german-memory-culture-anti-semitic-zionists-and-palestinian-liberation>. Shapiro, who is a Jewish returnee, insightfully links Germany's current obsessive anti-antisemitism with repressed rage towards Jews.
- 53 Lorenzo Veracini, *The World Turned Inside Out: Settler Colonialism as a Political Idea* (London: Verso 2021).
- 54 Moses, 'Dialectic of Vergangenheitsbewältigung'.
- 55 For a recent iteration of this argument, see, for example, Bret Stephens, 'Settler Colonialism: A Guide for the Sincere', *New York Times*, February 6, 2024, <https://www.nytimes.com/2024/02/06/opinion/settler-colonialism.html>.
- 56 Sa'ed Atshan and Katharina Galor, *The Moral Triangle: Germans, Israelis, Palestinians* (Durham, NC: Duke University Press, 2020). Atshan and Galor argue for Germany's acknowledgment of responsibility for the Nakba, and for the pluralisation and extension of the politics of memory and responsibility. For an outline of triangular relations involving settlers and Indigenous and exogenous alterities in the context of settler colonialism as a mode of domination, see Lorenzo Veracini, *Settler Colonialism: Colonial Power's Inability to Learn from Its Past Mistakes*, *Al Jazeera*, February 20, 2024, <https://www.aljazeera.com/opinions/2024/2/20/namibia-gaza-and-german-hypocrisy-on-genocide>.
- 42 Controversies abound. See, for example, the outrage that followed the publication of the German edition in 2021 of Michael Rothberg's, *Multidirectional Memory: Remembering the Holocaust in the Age of Decolonization* (Stanford: Stanford University Press, 2009).
- 43 A welcome exception is Jürgen Mackert and Ilan Pappé, eds., *Siedlerkolonialismus* (Baden Baden: Nomos, 2024). See also Anna-Esther Younes, 'Settler Coloniality is Coming Home to Roost in Europe: Antisemitism, Palestine and The Right to Protest in Germany', *Jadaliyya*, August 11, 2023, <https://www.jadaliyya.com/Details/45243/Settler-Coloniality-is-Coming-Home-to-Roost-in-Europe-Antisemitism,-Palestine-and-The-Right-to-Protest-in-Germany>. يفصّل يونس في نموذج الاستعمار الاستيطانيّ الخاصّ بالبنية الشرطيّة والقضائيّة لبرلين، وقمعهم المطلق لكلّ أشكال التعبير عن التضامن مع الفلسطينيين تحت الاحتلال. وقد تصاعد هذا القمع بعد تشرين الأوّل (أكتوبر) منال عام ٢٠٢٣. الوثائق التي بحث فيها يونس تظهر 'تأطير الناشطين الفلسطينيين بوصفهم خطرًا محتملاً' 'شخصيات متقلّبة' / مزعجة، ومخرّبين للسلام. إنّ النظر إلى التعبير السلميّ عن التضامن مع جماعة محاصرة فعلاً مخلّلاً بالنظام لهو أمر مزعج.
- 44 See Nicola Perugini and Neve Gordon, 'The Human Right to Colonize', in Nicola Perugini and Neve Gordon, *The Human Right to Dominate* (Oxford: Oxford University Press, 2015), 101–26.
- 45 See The Max Planck Society, 'Statement of the Max Planck Society about Prof. Ghassan Hage', February 7, 2024, <https://www.mpg.de/21510445/statement-ghassan-hage>; Hage Ba'a (Ghassan Hage), 'Statement Regarding My Sacking from the Max Planck Institute of Social Anthropology', February 9, 2024, <https://hageba2a.blogspot.com/2024/02/statement-regarding-my-sacking-from-max.html>. For an outline of Hage's position regarding the conflict in Gaza, see Ghassan Hage, 'Gaza and the Coming Age of the "Warrior"', *Allegra Lab: Anthropology for Radical Optimism*, November 16, 2023, <https://allegralaboratory.net/gaza-and-the-coming-age-of-the-warrior>.
- 46 Geography as a discipline, for example, remained pervasively settler colonial after WWII. See Gerhard Rainer, 'German Colonial Geography as a Racial-Völkish Reordering Project Beyond the East: National Socialism and the Colonial Writings of Geographer Oskar Schmieder', *Journal of Historical Geography* 84 (2024): 85–94. On the way colonisation was understood for a long time as a privileged site for the manufacture of German-ness, see Anna Danilina, *Ethiken der Essenz: Eine Emotions- und Körpergeschichte der Rasse in inneren Kolonien* (1890–1933) (Göttingen: Wallstein, 2023).

- 8.2022.2160533. يعيد سوتكليف بناء جينياالوجيا الحجة التي تقول إن الهولوكست بشكل كامل كان يفوق الفهم، والتي تم استخدامها بعد ذلك "كدفاع ضدّ التفاعل الجدّي مع الحياة (الداخلية الفكرية والعاطفية للمجرمين" (ص ١٠).
- 60 See Enzo Traverso, 'No, Post-Nazi Germany Isn't a Model of Atoning for the Past', *Jacobin*, June 6, 2022, <https://jacobin.com/2022/06/post-nazi-germany-colonialism-holocaust-israel-atonement>.
- يجادل إنزو ترافيرسو أنّ التمييز الواضح بين جرائم النازيين والتاريخ الطويل للعنف الاستعماريّ هو زائف من الناحية الجينياالوجية ومثير للشبهات من الناحية الأخلاقية.
- 61 See Dirk Moses, 'The German Catechism'; A. Dirk Moses, 'Dialectic of Vergangenheitsbewältigung', Curated by Jennifer Evans and Brian J Griffith, *The New Fascism Syllabus* 'Catechism Debate is available at: <https://newfascismsyllabus.com/category/opinions/the-catechism-debate>.
- 62 'Jerusalem Declaration on Antisemitism', <https://jerusalemdeclaration.org>.

- A Theoretical Overview*, 2nd ed. (Houndmills: Palgrave, 2024).
- ٥٧ كانت هذه وجهة نظر لويس هارتز الأساسية: "نظرية التجزئة التي تبدأ بالنموذج الأوروبي الأصلي، تسمح لنا بتحديد وضع غير معروف لتجارب أوروبا سواء التقليدية أو الثورية". Louis Hartz, 'A Theory of the Development of the New Societies', in *The Founding of New Societies: Studies in the History of the United States, Latin America, South Africa, Canada, and Australia*, ed. Louis Hartz (San Diego: Harvest/HBJ, 1964), 28. Could the German predicament be productively framed as the ?"predicament of a 'fragment
- 58 Ghassan Hage, *White Nation: Fantasies of White Supremacy in a Multicultural Society* (Sydney: Pluto Press, 1998); Ghassan Hage, *Against Paranoid Nationalism: Searching for Hope in a Shrinking Society* (Sydney: Pluto Press, 2003).
- 59 On the emergence of this predicament in the 1990s, see Adam Sutcliffe, 'Whose Feelings Matter? Holocaust Memory, Empathy, and Redemptive Anti-Antisemitism', *Journal of Genocide Research* (2022), <https://doi.org/10.1080/1462352>